

تأصيل العقيدة حماية من الأخطار الهدامة

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

مع تعليق

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُسخة الإلكترونية (١)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ

الحمد لله حقَّ الحمد وأوفاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، حتى تركها بعده ﷺ على بيضاء نقيّة لا يزيغ عنها إلا هالك.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، كفاء ما أرشدنا إليه، وهدانا إليه، كلما صلى عليه المصلون، وصلَّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ كلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون..
أما بعد.. أيها الأخوة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أَسْأَلُ اللَّهَ -جل وعلا- أن يجعلني وإياكم ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنَّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة للمرء في دنياه، وفي آخرته.

موضوع هذه المحاضرة اختاره الإخوة في ضمن المحاضرات الأسبوعية التي تقام في هذا الجامع المبارك، واختاروا له موضوعاً وهو مهم كما وصفه سماحة شيخنا ووالدنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ أيده ورفعته في درجات النعيم.

موضوع مهم؛ لأنَّه به النجاة في الدنيا، وبه النجاة في الآخرة، عنوانه:

تأصيل العقيدة حماية من الأخطار الهدامة

والأخطار الهدامة أعظمها الأخطار الأخروية عند لقاء الله جل وعلا ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء] وهي الأخطار التي ربَّما هدمت كل العمل، أو هدمت أكثر العمل، أو أوبقت الإنسان في النار والعياذ بالله، ومنها أخطار في الدنيا كما سيأتي تفصيلها.

لذلك هذا الموضوع مهم؛ لأن به النجاة في فهمه في الدنيا، وفي الآخرة.

وتأصيل العقيدة معناه جعلها أصلاً وأساساً في حياة الناس، وليست أمراً ثانوياً، أو أمراً كغيره، ويساوي غيره من المسائل الشرعية، أو من المسائل الدنيوية والعياذ بالله.

تأصيل العقيدة أن تجعل هي الأصل، تأصيلها في الناس أن تجعل أصلاً في حياتهم ينظرون بها، ويقىمون بها، ويهدون بها وإليها.

تأصيل العقيدة أن تكون هي الأساس في نفس المسلم، وأن تكون هي الأساس أيضاً في المجتمع

المسلم، فالمجتمع المسلم يُبنى على ما يحبه الله ويرضاه، وأعظم ما يحبه الله ويرضاه صفاء القلب، وتوجّه القلب والوجه إليه سبحانه، وذلك بالعقيدة الصحيحة الصّافية، تأصيل العقيدة مهم؛ لأنه يحمي الإنسان من أن يوبق عمله، وأن يخسر ما يعمل: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية] هي تعمل وتنصب؛ ولكن أصابها الخطر: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية].

تأصيل العقيدة مهم لأنه فيه دخول الجنة والنجاة من النار: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل].

تأصيل العقيدة به دخول الجنة والنجاة من النار، يعني أن تكون أساسًا في نفسك.

وهذا يحملك على تعلّم العقيدة، تعلّم أساسيات الاعتقاد، والعقيدة الإسلامية بسيطة سهلة كما سيأتي بيانه.

فتأصيل العقيدة في النفس وفي المجتمع؛ في حال الفرد المسلم، وفي حال الجماعات المسلمة وفي حال الدولة المسلمة؛ يحمي الفرد والجماعة والدولة من الأخطار التي توبق الدنيوية والأخروية.

العقيدة سُميت عقيدة؛ لأنها يُعقد عليها القلب، شيء مهم الذي تحتاج إلى الاهتمام به تعقد عليه، يعني تغلقه في قلبك فيصبح عقدًا قويًا من حيث عدم الشك فيه والمحافظة عليه ووجوده في القلب.

كذلك (عقيدة) لأنها عقد بينك وبين الله -جل وعلا- تحافظ عليه وتلتزم به.

العقيدة الإسلامية سهلة، ولكن كثرت الفرق والمخالفات فكبر الكلام، وكثر الكلام في العقيدة، وإلا ففي الأساس هي تطبيق للإيمان، لأركان الإيمان الستة.

والعقيدة إذاً هي الإيمان بما أوجب الله الإيمان به من أمور الغيب.

قال الله جل وعلا: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء].

وقال جل وعلا أيضًا: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ءَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ءَوَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة].

أركان الإيمان جاءت في حديث جبريل المعروف الذي رواه مسلم في «صحيحه» عن عمر رضي الله عنه قال جبريل لما أتى النبي ﷺ: أخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره».

فأركان العقيدة هي هذه الستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى.

وهذه مبسطة يمكن أن يُرجع إليها في مواطنها بتفاصيلها، وليس المقام اليوم في المحاضرة بيان تفاصيل العقيدة.

لكن هذا الإيمان بهذه الأركان الستة يشمل ماذا؟

يشمل أولاً وهو أهمها: الإيمان بالله:

إيمان بالله وحده رباً فلا رب لنا سواه.

الإيمان بالله وحده إلهاً مستحقاً للعبادة وحده دون ما سواه.

الإيمان بالله -جل وعلا- كاملاً فيما له من الأسماء والصفات والأفعال ﷻ.

وأول ما يظهر لك الإيمان بالله يعني الإيمان بربوبية الله، المشركون كانوا يؤمنون بأن الله هو الرب

الخالق الرازق المعطي؛ ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، أي ما عندهم

إلحاد في وجود الله، لا ينكرون الله -جل وعلا- وجوداً؛ ولكن أنكروا أنه المستحق للعبادة وحده.

أول مطلب في مطالب موضوع المحاضرة:

لذلك تأصيل الإيمان بربوبية الله حمايةً من الأخطار الهدامة، الإيمان بربوبية الله إذ أُصل لم يوجد

الإلحاد، كما تعلم أن الإلحاد؛ يعني إنكار وجود الله -جل وعلا- أو الاستهزاء بالله -جل وعلا-، أو

الاستهزاء بما أنزل، عدم الإيمان بالله رباً ولا إلهاً. الكفر بوجود الله -جل وعلا-، هذا من أعظم ما يُلقيه

الشیطان في النفوس: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، فئة قليلة

كانت من العرب قليلة تقول بهذا القول.

ولذلك ليس في القرآن كثير حوار يتعلق بهذا الأصل وهو الإيمان بتوحيد الربوبية، ولكن القرآن كله

تقريرٌ لتوحيد الربوبية لاستحقاق الله -جل وعلا- الربوبية وحده، فهو الخالق وحده، وهو الرازق

وحده، وهو المحيي وحده، وهو المميت وحده، وهو المجير وحده، وهو الذي لا يجار عليه وحده، وهو سبحانه القوي وحده، وهو على كل شيء قدير وحده، وهو سبحانه خالق كل شيء .

إذاً في مثل هذا الزمن الذي تعرض فيه موجات لبعض من لم يتعلم العقيدة، ولم يتشبع منها ولم يستفد من ما علم تعرض له موجات الإلحاد، لابد أن نؤصل العقيدة لنحمي بلدنا وشبابنا من هذا الخطر العظيم وهو الكفر بالله - جل وعلا - كيف؟

يكون بكثرة ذكر مفردات توحيد الربوبية، يعني في مثل هذا المقام حين يُنكر وجود الرب - جل وعلا - لابد أن نكثر من ذكر مفردات توحيد الربوبية؛ يعني أن تذكر تفاصيل أن الله خالق كل شيء؛

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد تبدأ بنفسك، خلق الإنسان، خلق السماء، خلق الأرض، خلق الكائنات، إجراء السحاب، لما في الملكوت من عجائب يُربط بتوحيد الله - جل وعلا - وأنه سبحانه هو الذي أوجده وخلق، فبكثرة ذكر الآيات فيه، وذكر تعظيم الرب - جل وعلا - وماله ﷻ من العجائب في خلقه، وفي ملكوته يُغرس توحيد الربوبية في النفوس.

لذلك لما جاءت بعض الكلمات، وبعض الأقوال التي قالها ملحدون في إنكار وجود الله - جل وعلا - أو الاستهزاء به، وهي قديمة حتى في مجتمعنا قديمة أتت من عدة عقود من الزمن ثلاثين، أربعين سنة تتكرر كل فترة وبين كل فترة، تتكرر إذا ضعفنا عن تقرير هذا التوحيد، تجد أن بعض الناس يطالب بحوارهم يقول: لابد أن تحمي العقيدة بحوار الملحد.

وحوار الملحد يصلح فرادى، لكن لا يصلح أمام الناس في التلفاز، أو في القنوات، أو في الشبكات علناً، مثل المواقع الإلكترونية علناً، الحوار طيب، وهداية الضال واجب، ويكون على شكل غير معلن لماذا؟

لأن إيراد الملحد للشبه قد يتأثر به الجاهل، يأتي جاهل ويسمع هذه الشبهة، تأتي في ذهنه فيكون الحوار سبب لانتشار هذه الفكرة، بعض الناس ما عنده علم يقتنع بالشبهة ويأتيه الشيطان بها أكثر مما يقتنع بالعلم والحجة، وإلا لما ضل من ضل، فأكثر من ضل هو عن عدم فهم.

ولكن العلاج الآخر المهم الناجح أن يأتي الخطيب في خطبته، والداعية في دعوته، والعالم في فتاويه إذا سئل، وأشبه ذلك يأتون بتقرير مفردات توحيد الربوبية؛ لأن الله - جل وعلا - هو الرب سبحانه،:

﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ١٦].

لذلك تأصيل توحيد الربوبية منهج، ومطلوب، لا يقال: إن هذا شيء معروف لا نؤسسه، إذا كان لا يوجد إلحاد، أو لا يوجد ضعف في تعظيم الله - جل وعلا - فإنك قد لا تحتاج إلى التفصيل في كثير لكن مع وجود مثل أيامنا هذه ضعف في تعظيم الله - جل وعلا - وتوقيره وله وبعد عن رؤية آيات الله، فالخطيب والداعية والعالم، ومن له توجيه في الناس والمعلم في مدرسته، يأتي إذا جاءت الآيات التي فيها ذكر الله - جل وعلا - وذكر عظمته يرقق القلوب بها لتفكر في الحديث أو في آية الكرسي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ والكرسي الذي وسع السموات والأرض هو موضع قدمي الرحمن - جل جلاله - «وما السموات السبع بالنسبة إلى العرش إلا كسبعة دراهم ألقيت في ترس»، فما هذه العظمة بين السماء والسماء مسيرة خمسمائة عام ثم بين السماء والسماء مسيرة خمسمائة عام، والناس اليوم يتفاخرون إذا بنو عمارة طولها كذا وأصبحوا يتعجبون بما فيها ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] يعني أكبر من خلق الله للناس أو أكبر مما يخلقه الناس؛ يعني يصنعه الناس.

وهذا مجال كبير جداً لتأصيل العقيدة بتوحيد الربوبية؛ لتعظيم الله - جل وعلا - في النفوس، وإذا عظم في النفوس الإيمان بالله رباً فإنه يكون الخشوع قوي ودائم.

لذلك إذا جاءت الآيات التي فيها ذكر الله - جل وعلا -، وفيها ذكر عظمته وأنه الواحد وأنه هو المجري لكل شيء سبحانه وهو ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣].

فإذا جاءت مثل الآيات التي فيها ذكره حرك بها نفسك ردها، وحرك أيضاً بها من حولك، والخطيب يحرك والإمام إذا قرأها في الآيات يحرك، يُغرس الإيمان بالله - جل وعلا -، وإذا غرس الإيمان بالله - جل وعلا - رباً، فإن ما بعده يكون أسهل.

ولذلك في القرآن احتج الله - جل وعلا - على المشركين بما يؤمنون به وهو توحيد الربوبية على ما ينكرونه وهو توحيد الإلهية.

ولكن إذا نظرت توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية: توحيد الربوبية يعني من آمن بالله واحداً في ربوبيته يلزم منه - كما احتج الله جل وعلا المشركين في القرآن - أن يجعله واحداً في عبادته له.

ومن وحد الله في الاهيته فإنه متضمن من ذلك لتوحيده في ربوبيته .

الكافر بالله ربًّا لا ينفعه شيئًا في الآخرة ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان] فهو على أشد الأخطاء.

كذلك المشرك بالله وهو الذي لم يوحد الله توحيدًا لعبادة يعني جعل مع الله إلهًا آخر، إما صنمًا أو وثنًا.

الصنم هو التمثال والصورة الذي يعبد؛ لأن الصورة لها حالان، الصور المجسمة:

إما أن تكون تمثالًا وهذا كان مباحًا عمله في الشرائع قبلنا، وفي شريعة الإسلام حُرِّمَ أشد التحريم ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَرِّبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ﴾ [سبأ: ١٣]، فالإسلام حرم الصورة أن تكون على هذا النحو، وإذا عبد التمثال صار صنمًا.

وكل معبود وثن، ولذلك الصليب وثن؛ لأنه عبد من دون الله، أو عبد مع الله جل وعلا، والقبر وثن إذا عبد مع الله جل وعلا ومن دون الله جل وعلا صار وثنًا.

فالوثن هو ما يعبد مما ليس على صورة، وإذا كان على هيئة صورة مجسمة فإنه يسمى صنمًا.

ولذلك أعظم ما يُتَقَرَّبُ إلى الله - جل وعلا - به أن تجعل هذه النفوس التي خلقها الله جل وعلا موحدًا له في إلهيته وعبادته.

فلا تعبد إلا هو، لا تدعو دعاء العبادة إلا له، ولا تدعو إلا هو، لا تذبح ذبح العبادة والتقرب إلا له، ولا يرجي رجاء العبادة إلا منه سبحانه لا يُخَافُ خوف السر الذي لا يرتبط بأمور ظاهرة بأسباب ظاهرة إلا منه ﷻ.. وهكذا في أنواع العبادة.

هنا يأتي أناس يقول: ما أهمية هذا التوحيد الذي دائماً تقولونه ودائماً ترددونه؟ ما أهميته في حياة الناس؟

له أعظم الأثر في الدنيا وفي الآخرة:

أما أثره في الدنيا فهو الحياة مطمئنة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

وفي الآخرة أعظم أثر أن تموت وأنت لا تشرك بالله شيئاً من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ﴿ إِنَّ

اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

لذلك تأصيل هذا التوحيد هو أعظم بر بالناس، وأعظم إحسان إلى الخلق، فالإحسان إلى الخلق بالصدقة إحسان؛ لكن بنجاتهم في الدنيا والآخرة بتأصيل العقيدة بتأصيل توحيد العبادة هذا أعظم بر وإحسان إليهم، وأعظم نفع له.

فالذي يعلم التوحيد، ويعلم هذه العقيدة سواءً في المساجد أو في المحاضرات أو في الجامعات يحتسب أنه ينفع الناس بأعظم نفع وهو في ميراث الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. لذلك حماية هذا الأصل واجه، وتأصيل توحيد الألوهية في الناس واجب؛ لأن به سعادة الناس في الدنيا وسعادتهم في الآخرة.

فالأفراد يجب عليهم أن يهتموا بذلك، وكذلك الجماعات التي تعمل للإسلام في كل مكان يجب أن يهتموا بتنقية النفوس؛ لتكون لله -جل وعلا- وحده، وأن يكون عنده تمييز بين الحق والباطل في التوحيد.

وله الأثر الكبير في الدولة؛ لأن الله -جل وعلا- وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَصْلَحْنَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾

[النور: ٥٥].

فأي ثمرة أعظم من الأمن الوارف في ثمرة دنيوية، غير إرسال الأمطار، وخيرات السماء والأرض، وفتح كنوز الله -جل وعلا- من السماء والأرض.

وهنا وقفة، وهي أن أهل العلم لما صنفوا في العقيدة أصلاً مهماً جداً، وتأصيله من تأصيل العقيدة؛ وهو أنه كيف أن نتلقى هذا الدين؟ كيف نتلقى الشريعة؟

هذا سؤال مهم، تتلقى الشريعة بأي وسيلة؟ كيف تتلقى الشريعة؟ ما منهج التلقي للشريعة؟ كل شيء له منهج تضبط نفسك من الخطأ لابد أن تكون ممنهجاً في أعمالك، فكيف في مسألة الاعتقاد! ولذلك سمى العلماء كثيراً من مسائل العقيدة سموها منهجاً ومنهج، السبب أن المنهج يعصم -المنهج يعني الطريق كيف تتعامل- يعصم من الضلال فمنهج تلقي الدين وتلقي الشريعة وتلقي العقيدة

لا يكون إلا بالتلقي عن الله ورسوله، وما كان عليه سلف هذه الأمة في مجموعهم.
بمعنى أن منهج التلقي هو الاعتماد على الكتاب والسنة، يقول أحد: فيه أحد لا يعتمد على الكتاب
والسنة؟

نعم يعتمد على الكتاب والسنة في بعض ويعتمد على عقله في البعض، ولذلك تنازع كثير ممن
يعتمدون على الكتاب والسنة من العلماء السابقين، تنازعوا في الأدلة العقلية، يعني ما يستحسنه العقل ما
يراه العقل، المصالح العقلية، الترجيحات العقلية، والشواهد العقلية.

فبعضهم - وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة - قالوا: لا يقدم على الكتاب والسنة شيء، من
العقول واجتهادات الأذهان في ما فيه نص من الكتاب والسنة وخاصة في الأمور الغيبية، في ما لا نرى في
أمر الاعتقاد، هذا لا مجال للاجتهاد فيه، ومنازعة العقل له منازعة في غير مجالها.

وهذه هي الفرقة الناجية الذين قالوا: منهج التلقي الإعتقاد على الكتاب والسنة ولا دخل للعقل في
تأصيل العقيدة، ولا للمصالح في تأصيل العقيدة.

ومن الناس من قال: العقل والنص متساويان في التلقي، فيؤخذ بهذا ويؤخذ بهذا، وهذا أيضاً باب
ضال لأنه جعل عقل الإنسان مساوياً للمُنزل من الرَّحْمَن - جل وعلا - وأن يكون هذا بمنزلة ذلك،
وضل كثيرون حيث جعلوا الشرع في منزلة أقل من العقل؛ بل زاد بعضهم فقال: إن الشرع - يعني الكتاب
والسنة - شاهد معدل والعقل قاض محكم.

وهذا القول الذي قاله فئة من أهل الكلام والفلاسفة فيما مضى من مئات السنين نراه اليوم في جرائدنا
وفي صحفنا وفي كثير من الكتابات الليبرالية والعلمانية التي تكتب اليوم في بلاد التوحيد.

يجعل يناقش النصوص العقلية وقواعد الشرع المجمع عليها، يناقش حتى في العقيدة، يناقشها
بمناقشات عقلية، ويقدم عقله على مورد النص.

ولذلك من المهمات في تأصيل العقيدة أنه لا يقدم على القرآن والسنة شيء في أمور الاعتقاد والأمر
الغيبية وما نص الله - جل وعلا - عليه ونص عليه رسوله ﷺ.

لذلك قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في نونيته:

والله ما خوف الذنوب فإنها
لكنما أخشى انسلاخ القلب من
لعل على سبيل العفو والغفران
تحكيم هذا الوحي والقرآن

الذي نخشى منه الحقيقة الخطر، الخطر، الخطر أن لا تؤصل العقيدة، وأن لا يحكم القرآن والسنة، لا يحكم الوحي، وإنما يحكم العقل، فيأتي بعقليات، ثم يستشهد لها، وهذا سبيل من سبل الضلال، وهو الذي نراه اليوم حتى وقع فيه بعض الخاصة من المنتسبين إلى العلم، من حيث يشعر أولاً يشعر.

الأصل الشرعي هو أن تستقي من الكتاب والسنة، ثم تبين وتشرح، وظيفة الأنبياء البيان بيان ما أنزل الله، لتبين لهم، ووظيفة العلماء وهي بيان ما أنزل الله وما جاء به رسول الله ﷺ.

والاجتهاد في مواطن الاجتهاد؛ لكن مصادمة العقل للوحي، هذه من أكبر سبل الضلال، ولذلك تأصيل العقيدة في منهج التلقي حماية من هذا الخطر الداهم الكبير الذي نراه اليوم من تقديم العقل على النص، ومناقشة كل الأمور حتى في أمورٍ جاء فيها نص، ويتبع هذه المناقشة الاستهزاء والعياذ بالله بما جاء به الوحي.

لهذا من المهمات أن تؤصل منهج التلقي؛ تتلقى الدين ممن؟ كيف تفكر العقل؟ وتفكر في المسائل الشرعية والدينية بأي طريق؟ بالبحث عن الدليل، ما هو الدليل الشرعي؛ لأن هذه مسائل وحي. العقل يجتهد في أمور دينه، أو يجتهد في فهم ما أنزل الله على رسوله ﷺ؛ لكن لا يجتهد في مصادمة النص.

واليوم يأتي فئام وأيضاً يصادمون الشرع بما يسمونه المصلحة، اليوم جاء شيء وهو من قديم؛ لكن في بلادنا ثار هذا الأمر في السنين الأخيرة؛ المصلحة.

المصلحة لا يجوز أن تصادم بالنص؛ لأن المسائل ثلاثة أنواع:

مسائل عقدية فلا مجال فيها لذكر المصالح والمفاسد، هذا اعتقاد.

والمسائل الثانية مسائل عملية مجمع عليها، فلا مجال فيها لذكر مصالح وغير مصالح.

المسألة الثالثة مسائل عملية قابلة للاجتهاد، واجتهد فيها العلماء، هذا تدخل فيما المصلحة أما مصلحة مرسله أو مصلحة منصوص عليها ومتحققة.

لذلك الذين يجعلون المصلحة مقدمة في التفكير على النص هؤلاء وقعوا في خطر داهم.

لذلك من تأصيل العقيدة الواجب أن نؤصل أن المصلحة تبع للشرع، وليست الشرع تبعاً للمصلحة.

ولذلك غلط بعضهم بعض أهل العلم حينما قالوا: أينما وجدت المصلحة فثم شرع الله.

قال: أينما وجدت المصلحة فثم شرع الله. أي أبحث عن المصلحة أين هي والشرع موافق لهذا الشيء، سواء كانت مصادمة للنص؛ لأن الشرع جاء بالمصلحة، بل زاد بعضهم والعياذ بالله في خرق هذا الأمر فقال: إن المصلحة تقتضي بتغيير منهج أصول الفقه، فمصلحة الناس اليوم تقتضي بأن لا نقول: إن الأمر يقتضي الوجوب أو الاستحباب بحسبه، أو أن النهي يقتضي الحرمة أو الكراهة بحسبه، أو الإباحة بحسبه.

قالوا: حيث الأمر منوط في فهمه بالمصلحة؛ يعني أمر الله بشيء تبحث عن مصلحتك في ضوء هذا الأمر.

هذا قتل واغتيال للعقيدة ولمنهج التلقي في الدين.

القاعدة الصحيحة التي أجمع عليها العلماء: حيث وجد الشرع فثم المصلحة.

إذا وجد الشرع المجمع عليه في المسائل العملية فثم المصلحة في المجمع عليه.

مسائل الاعتقاد في ما أسسه السلف ودلت عليه دلائل الكتاب والسنة المصلحة في الدنيا والآخرة في اعتقادها.

وأما المسائل المختلف فيها التي فيها اجتهاد، فهذه يتنازع العلماء في المصالح والمفاسد فيها.

ولذكر المصالح والمفاسد تفصيلات ليس هذا موطن بيانها .

هنا نقف وقفة مهمة في ذكر المنهج: السلف -رحمهم الله تعالى- جمع منهم علماء الحديث، أئمة

أهل السنة؛ كالإمام سفيان الثوري، والإمام وكيع، والإمام أحمد ابن حنبل، والإمام البخاري، والإمام مسلم، وأبي داود السجستاني، وابن الخزيمة، وسائر أئمة السلف وأصلها وقعدتها شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالى وجزاه الله عنا خير الجزاء وتلميذه العلامة شمس الدين ابن القيم.

ثم بعثها في الأمة من جديد الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن تبعه على هذا النهج، هذا المنهج السلفي اليوم يُطعن فيه.

وهنا يجب أن نقف وقفة لأن من تأصيل العقيدة تأصيل منهج السلف للعقيدة؛ لأنه لا يمكن أن نصل

إلا بطريق، لا يمكن أن تصل العقيدة إلا بمنهجها.

لذلك لما كتب العلماء في العقيدة جعلوا مع مسائل الإيمان التي ذكرت المسائل الست أركان

الإيمان الستة جعلوا منها مسائل في التعامل، أو في الأحكام.

السبب لأنه هناك خلاف في هذه المسائل، فجعلوا مسائل عملية:

مثل مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مثل مسألة طاعة ولاة الأمر ومسائل البيعة.

مثل الترضي عن الصحابة جميعاً ومولاتهم والترضي عن أمهات المؤمنين ومولاتهم ونصرتهم.

مثل مسائل الأخلاق والعبادة وتعامل المسلم مع المسلم.

تعامل المسلم مع غير المسلم.

ومثل مسائل البدع والخروج عنه..

في مسائل كثيرة هي في الأصل ليست من أركان الإيمان لكن ضمها السلف إلى مسائل العقيدة لأنها

أصبحت منهج للالتزام بالعقيدة من الكتاب والسنة.

ومن جاء بها فقد التزم، فهي من أضخم المسائل التي قال بها الذين ضلوا عن العقيدة الصحيحة.

وهنا وقفة أنبه الأخوة عليها من سمع ومن لم يسمع في زمانٍ كثرة فيه الشبهات، وهي مسألة المحكم

والمتشابه وصلتها بمنهج السلف، وصلتها بما نقل عن السلف:

الله -جل وعلا- من حكمته البالغة وابتلائه لعباده جعل من كتابه القرآن، من وحيه، جعل منه محكمًا

وجعل منه متشابهًا كما قال -جل وعلا- في أول سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ

مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

كذلك ما معنى المحكم والمتشابه؟

المحكم ما يُدرك معناه كل أحد.

المتشابه الذي يشبه معناه على الناس أما جميعاً وأما بعضاً، ويبقى أهل العلم يعلمونه كله أو يعلم

بعضهم شيئاً وبعضهم يعلم شيئاً منه.

فالقرآن منه محكم ومتشابه، ففيه آيات لو تأخذها وحدها سلكت مسلك الخوارج في التكفير بالكبيرة

في التكفير بمطلق الحكم بغير ما أنزل الله وبأشباه ذلك، وهي في آيات من القرآن.

كذلك منهج المرجئة، المرجئة يستدلون بآيات من القرآن.

كذلك القدريّة يستولون بآيات من القرآن.

لكن ما استدلووا بالمحكمات هم استدلووا بالمتشابهات.

وإذا اشتبه عليهم المتشابه لم يוכלوا علمه إلى الله ويأخذوا بالمحكم، وإنما أخذوه كما قال الله -جل

وعلا- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾.

وهنا **انتبه** لهذه القاعدة قال جل وعلا: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أثبت الله ﷻ أن وجود المتشابه من

القرآن ليس هو سبب الزيغ؛ لكن الزيغ موجود في النفوس أولاً بسبب الإعراض عن المحكمات، بسبب

الأعراض عن التسليم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ وجد الزيغ قال: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾ فوجد الزيغ

ثم بعده بالترتيب بالفاء ذهبوا يبحثون عن المتشابه ليتبعوا به الفتنة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾

بعضهم ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ بدون أن يفهموا التأويل بالذهاب للمتشابه، والله -جل وعلا- أمرنا بالإيمان

بالمحكم والمتشابه نقول فيه: كل من عند ربك، وأهل العلم بمجموعهم يعلمون ما أشبه منه.

كلام النبي ﷺ أيضاً منه محكم ومنه متشابه .

فما يأتي واحد ويقول: أنا أستدل بالسنة معناها أي على حق، لا. تستدل بمحكمات السنة، وأما ما

اشتبه من السنة فقد استدلت كل الفرق الضالة أيضاً بأشياء من السنة، فإذا وجد المحكم والمتشابه في

القرآن فهو موجود أيضاً في السنة، فبعض الأحاديث يفهم معناه كل أحد محكمات، وبعضها لا يفهم

معناها إلا أهل العلم.

فلذلك يجب عليك حتى في السنة أن لا تصغي إلى من يدلي بمتشابه، وأن تأخذ بالمحكمات

الواضحات البيانات من الدلائل.

نأتي إلى نزول درجة في الاستدلال، أقوال الصحابة أيضاً يعرض لها أن يكون بعضها محكماً وأن

يكون بعضها متشابهاً.

أقوال التابعين وأقوال بعض الأئمة يعرض لها أن تكون بعضها محكماً وبعضها متشابهاً.

هذه الأقوال، أيضاً الأفعال من باب أولى لأن القول فيه دلالة لفظية، وأما الفعل فدلالته أضعف،

فيكون من الأفعال ما دلالة محكمة، ومن الأفعال ما دلالة مشتبهة.

فلذلك من تأصيل العقيدة الذي يحمي من الأخطار هو أن يؤصل في الناس العمل بالمحكمات،

واليوم في زمان جهل الناس يقرؤون كثيراً؛ لكن فيه جهل فيكثر الاستدلال بالمشتبهات، وهذه لحظات كثيراً من المشاركات في المواقع ومن يتكلمون وبعض الكتب والمؤلفات، لا يعزب عن الناس اليوم الاستدلال، اليوم واحد عنده كمبيوتر ويبحث فيه ويضع كلمة ويبحث ويأتي بالأدلة ويقول: كَوْنْتُ بحثاً.. ليس هذا هو العلم، العلم أن تعلم المحكمات أولاً ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّذَيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران]، قال البخاري رحمه الله: الربانيون هم الذين يعلمون الناس صغار العلم قبل كباره، وهذه مسألة مهمة في تأصيل العقيدة؛ لكن أن يوجد نقل، ينقلون من كتاب، الآن ما يرجعون للكتب، ينقلون أيضاً من النت ويأخذونه، ويقول: أنا عندي أدلة ويردون على أهل العلم هذا «أولئك الذين سمى الله فاحذروهم»، يعني الذين يتبعون المشتبهات ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾، أين نحن من القرآن؟

الله - جل وعلا - أقام علينا الحجة، كل شيء بين. ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾.

كذلك أفعال السلف، أفعال السلف منها محكم ومنها متشابه، يأتي بعض الناس اليوم ويقول: الخروج على ولاية الأمر، والثورة على ولاية الأمر الذين في أعناق الناس عليهم بيعة ليس للسلف فيها منهج، فبعض السلف قال كذا، وبعض السلف قال كذا. وينقل نقلاً من هنا وهناك.

وهذا هو المنهج الذي حذرنا الله منه، كيف نعرف المنهج، منهج السلف بمجموع أقوالهم، ومجموع أعمالهم؛ لكن الواحد منهم ما جعل الله له العصمة، والاثني منهم لم يجعل الله لهم العصمة. النبي ﷺ بين لنا أن هذه الأمة خير أمتي من؟ الصحابة «خيركم قرني»، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، فالخيرية في المجموع.

فلذلك قد يقع الواحد في شيء يجتهد فيه، وأمره إلى الله - جل وعلا - وله فضله، لكن العالم لا يتبع في زلته، العالم وهو عالم لا يتبع في زلته، الاتباع يكون في الكتاب والسنة، ما جعل الله لأحد العصمة بعد نبيه ﷺ؛ لكن الأمة في مجموعها معصومة؛ لأنه لا بد من قائم لله بالحجة وهذه من مهمات المسائل، فيأتي فيقول السلف ليس لهم منهج في هذا.

في ضوابط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول: السلف ليس لهم منهج في هذا.

أين الذي أصله العلماء، الإمام أحمد، والأئمة والبرهاري وابن خزيمة وابن تيمية والعقائد، وين

تعليم الناس الواسطية، أين كتب الاعتقاد؟، أين منهج أهل الحديث؟ أين منهج السلف؟
يذهب بالاستدلال بقول فلان، أو فل فلان واحد أو اثنين، هذا هو إتباع المتشابه، ترك المحكمات
واتباع المتشابهات.

إذاً فمن أتى بشيء في العقيدة يخالف تأصيلها وأساسها المجمع عليه الكثير في الكتاب والسنة في
أمور الاعتقاد، أو في أمور المنهج أو أمور التعامل بالاحتجاج بشيء هنا أو هناك يُخالف هذا الأصل،
فهذا اتّباع للمتشابهات، حتى أول الحديث، بل أولت أحاديث ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله ما ذكره الله -
جل وعلا- نراه عياناً بياناً، ولذلك قال الله -جل وعلا- في آخر سورة الأنعام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ
وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، أنت لست منهم في شيء، ابعد وابتعد
عنهم، التزم بالمنهج العام حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك وهنا يقضي الالتزام بهذا المنهج العام
يقضي السلامة.

أما الأخذ باجتهادات.. نصادم النص بعقل، ونصادم النصوص والقواعد الشرعية بمصالح، ونصادم
منهج السلف العام بقول بعضهم أو تأويل بعضهم أو نقل عن عالم.

حتى أئمة السلف قد يكون عند بعضهم حالة أو حادثة وقعت له تخالف المنهج العام، ليس نبياً أن
يؤخذ منه كل شيء، لذلك قال الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وجزاه عنا خير
الجزاء -قال: (ما منا من أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر).

وهنا تضع في نفسك هذه القاعدة لا تغب عن بالك: القرآن منه محكم ومتشابه، ضلت الفرق باتباع
المتشابه فصارت من الاثنتين وسبعين فرقة التي هي في النار.

كذلك أحاديث النبي ﷺ اتبعت طائفة منها المتشابه وتركت المحكمات.

كذلك أفعال وأقوال الصحابة، كذلك أفعال السلف وأقوال السلف، فما كان الشيء إذا جاء عن ندرة
فلا يُحتج به على المنهج العام، لذلك.

وهذا والله الحمد بين ظاهر لا من جهة الاستدلال، ولا من جهة التدوين أئمة أهل الحديث وأئمة
الإسلام أفصلوا ذلك لنا وتركوه لنا في المصنفات، جزاهم الله عنا أحسن الجزاء ورفع درجاتهم في جنات
النعيم.

لذلك أحرص على قاعدة المحكم والمتشابه اليوم، إذا جاءك الذين يستدلون بالمتشابه تذكر «أولئك الذين سَمَّ الله فأحذروهم»: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ هذا في القرآن. كذلك الذين في قلوبهم زيغ يتبعون في السنة ما تشابه منها ابتغاء الفتنة، كذلك الذين في قلوبهم زيغ يتبعون في أفعال الصحابة ما تشابه منها ابتغاء الفتنة، كذلك في أفعال السلف ابتغاء الفتنة، وهكذا والحمد لله الأمر بين ظاهر في هذا الصدد.

تأصيل العقيدة أمان من الأخطار الهدامة وحماية، فالأخطار كما ذكرت لكم نوعان: أخطار في الدنيا وأخطار في الآخرة.

وتأصيل العقيدة يعني جعلها أساس في النفوس أولاً بها غفران للذنوب برحمة الله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» يعني على رجاء دخول الجنة بمغفرة الله وبرحمته.

العقيدة حسنات عظيمة؛ لأنها عمل القلب، واعتقاد القلب، وقول القلب، حسنات عظيمة هي في ميزان الحسنات: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ﴾ [هود] ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ [الأعراف].

العقيدة في الآخرة حماية من الخطر العظيم وهو النار، وكذلك في الدنيا حماية للناس من زيغ القلب، حماية للمسلم من الخلل في منهجه، حماية للمسلم في رزقه، ومعيشتة، في ظنه بربه - جل وعلا - وفي حياته المطمئنة.

كذلك تأصيل العقيدة حماية للدولة المسلمة، الدولة المسلمة يجب أن يكون أول ما تهتم به العقيدة تؤصلها في الناس، تدعوهم إليها، تضعها في مناهج التعليم وتحرص على ذلك، ويكرر ذلك في الناس حتى لا تنسى، التوحيد ينسى؟ نعم، ينسى. رأينا أناس درسوا التوحيد ثم بعد عشرين أو ثلاثين سنة نسوا أصوله، وصاروا يجادلون في أحكام هي من الشرك، أو من البدع أو نحو ذلك.

نعم ينسى، يحتاج إلى تكرار وتكرار في هذا الصدد.

لذلك أحرص في نفسك على ملازمة تذكر أصول الاعتقاد ومنهج السلف، كتب العقيدة العامة.

الزم القرآن، لا ترغب عن القرآن في غيره، إذا كانت تلهيك الأجهزة الحديثة اليوم فلا تلهينك عن

كتاب الله، فوالله إنها ليست بخير، الخير في القرآن لك في الدنيا وفي الآخرة، والعلم في القرآن والمعلومات في القرآن، خذ منها ما ينفعك في وقت قليل.

أما الساعات الطويلة التي تلهي في عن العبادة وعن العمل الصالح وعن تلاوة القرآن وعن النظر في السنة، وعن النظر في ما ينفع الإنسان في دنياه وفي آخرته وبال عليه.

أحرص على إمعان النظر في ما أسسه أهل الحديث، وعلماء الحديث، البخاري ومسلم وكتب السنن والموطأ، ومسند الامام أحمد، والشروح.

أحرص على كلام العلماء الربانيين ليكون عندك في هذه الحياة، ليكون عندك المنهج الكامل في الاعتقاد وملازمة الهدى والحق.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإياكم ممن إذا سمع القول اتبع أحسنه، وأن يلهمنا وإياكم الرشد والسداد، وأن يجزي من أورثنا هذا العلم خير الجزاء، اللهم صل على محمد كفاء ما هدانا واشرد، صل عليه كلما صلى عليه المصلون، وصل عليه كلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون.

اللهم اجز شيخنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ خير الجزاء وأوفره وأجزله وأطيبه في الدنيا والآخرة، كفاء ما صابر في الجلوس لهذه المحاضرات وإرشاد الناس وتعليمهم. وجعلنا وإياه من الواردين على حوض نبينا ﷺ.

اللهم وفق ولاية أمورنا لما تحب وترضى، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى. اللهم اغفر لنا جميعا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

تعليق

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ حفظه الله

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

معالي الشيخ صالح في هذا الموضوع تأصيل العقيدة حماية من الأخطاء الهدامة، لاشك أن هذا موضوع مهم في الفرد والجماعة؛ لأن هذا الموضوع إذا اهتُم به واعتُني به ولقن الصغار ونشؤوا على معرفته نالوا خيراً كثيراً.

فإن التوحيد أساس الملة والدين، لأجله خلق الله الخلق، ولأجله أرسل الرسل، ولأجله أنزل الكتب، هذا الأصل العظيم الذي إذا صح وسلم ننعم في الدنيا والآخرة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي شرك ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

هذا الأصل العظيم من لقي الله به كان مآله الجنة برحمة أرحم الراحمين «من آخر كلامه في الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة» تأصيل هذه العقيدة وتوضيحها وتبيينها هو الذي سار السلف عليه، فتوحيد العبادة بيان ما بعث الله به الرسل، من أولهم نوح إلى آخرهم محمد ﷺ.

وأن الغاية من بعثهم دعوة الخلق إلى توحيد الله وإخلاص الدين لله ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال الله جل وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢١] ففهم المسلم لتوحيد الرسل وأنهم ما دعوا قومهم إلى أن الله خالق رازق فقط، لا، الأمر مستقر في النفوس، إنما جاؤوا ليربطوا العبادة بربهم بتوحيدهم له، وإخلاصهم الدعاء والرجاء والتوجه وتعلق القلب بالله جل وعلا.

فإذا أصل هذا في النفوس وعرف العبد ربه وأخلص له الدين وعبدته دونما سواه فتلك النعمة العظمى.

جاء تأصيل العقيدة ببيان أسماء الله الحسنی وصفات الله العلی وإمرارها كما جاءت، مع الاعتقاد الكامل لحقيقة ما يليق بالله مع عجزنا عن كيفيتنا وإنما الإيمان بالتسليم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴿[الشورى].

هذه العقيدة كلما رسخت في النفوس يزداد العبد به إيماناً، هذه العقيدة التي دعا إليها الرسل والأنبياء دعا إليها محمد ﷺ وجاهد وجالد عليها إلى أن أوضح المحجة وبين الحق من الباطل.

سلف هذه الأمة اهتموا بهذا التوحيد واعتنوا به غاية العناية، وأول ما أصيب المسلمون في عقيدتهم في التوحيد، عندما ظهرت البدع القدرية المنكرة لعلم الله السابق، وعندما ظهر الخوارج المكفرين بالذنوب والمعاصي، وعندما خرج المعتزلة والجهمية وغيرهم ممن أنكروا أسماء الله وصفاته، ووضعوا للأمة مناهج بعيدة عن كتاب الله بعيدة عن سنة رسوله ﷺ، أبعدوا الناس عن دينهم، فلما بعد الناس عن دينهم وقعوا في البلاء، أظلمت قلوبهم بالبدع والضلالات وانصرفوا عن الحق والهدى.

فالحقيقة هذه المحاضرة قيمة التي ذكرها الشيخ وتحدث عنها بحديث مفصل نافع، أرجو أن تنشر هذه المحاضرة؛ لأن هذه الأشياء الناس في غفلة عنها، ولهذا قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «كشف الشبهات»: إذا قال قائلهم: التوحيد عرفناه. قال: أن هذا من الجهل ومصائب الشيطان؛ لأن التوحيد يجب أن يتعلم ويعلم الناس والله يقول لنبىه ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]؛ فاعلم أنه لا إله إلا الله وهي سورة مدنية، ومعناها أن التوحيد الاهتمام به وتأصيله في النفوس وتقريره للناشئة وتعليمه إياها ونشره على الملأ والإعلان عنه وعن تفاصيله مما يُزيل كل البدع ومما يرسخ العقيدة، فإن العقائد الهدامة الضالة كالانحراف في العقيدة من المذاهب القديمة أو المعاصرة كالمذاهب الشيوعية والعلمانية وأمثالها مما صد الناس عن كتاب ربهم وسنة نبىهم ﷺ.

هذه المحاضرة القيمة، وإننا نرجو من معالي الشيخ أن لا يدعنا عامًا كاملاً، نرجو أن يكرر الحضور ولو بالموعظة؛ لأنه وفقه الله في محاضراته مؤصلة مفيدة تنفع الناس وتوقظ همهم وتبصرهم. ونسأل الله أن يطيل عمره في العمل الصالح وأن يبلغه للخير وأن يبارك في عمله وعمره وأن يرزقه الثبات والاستقامة على الهدى إنه على كل شيء قدير، ويرجم الدين والدينه وجميع المسلمين وصلى الله على نبينا محمد.

[الأسئلة]

سؤال (١): هل للتوحيد أثر في حفظ الأمن؟

الجواب: نعم، له أثر في حفظ أمن النفس، وأمن الفكر؛ لأن من أمن فكره من الشرك والضلالات ... من الإيمان، وله أجر في أمن مجتمعه أيضاً؛ لأن من أطاع الله ورسوله التزم حرمة الدماء والأعراض ولذلك قال الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَصْلَحْنَا لَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥] فالأمن فكريا وسلوكيا إنما يكون يتحقق عندما تدرس العقيدة وينقاد العبد لله ويسمع ويطيع.

سؤال (٢): الحديث في المحاضرة عن العقيدة يذكرنا بإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فهلا تحدثونا بشيء من سيرته وبعض جهده في هذا، جزاكم الله خيراً.

الجواب: الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ رجل من هذه البلاد من شرح الله صدره، وأنار قلبه، وهدهد للخير، وفتح عليه العلم النافع ورزقه الإخلاص في القول والعمل، فتعلَّم وتفقه ودرس وارتحل إلى أن زاده علماً ومعرفة.

ثم قارن وضع مجتمعه وبين ما هو يعرفه من الحق والهدى، فرأى ما يعيش فيه ملوث بالوثنية والضلالات وعبادة القبور والذبح لها والنذر لها والاستغاثة بها وأعراف الجاهلية والكهان والمنجمين والسحرة، وانتشار مذاهب الصوفية الإلحادية.. إلى غير ذلك من أنواع الخرافات التي تعج بها هذه البلاد العربية.

فبدأ رَحِمَهُ اللَّهُ بتأليف «كتاب التوحيد»، قيل: إنه ألفه بالبصرة، ثم أكمله بعد ذلك، أكمله في المدينة، المهم بدأ «كتاب التوحيد» في سفره يؤلف ويكتب يقارن بين واقع المجتمع وبين الحق الذي بعث الله به نبيه ﷺ، فرأى بونا شاسعاً وتبايناً عظيماً فألف «كتاب التوحيد» و«الأصول الثلاثة» و«كشف الشبهات» وغيرها من كتب من العقيدة التي بين فيها الحق، بين فيها الهدى، أوضح فيها دعوة الرسول ﷺ، أوضح الخصام بين الأنبياء وأممهم، بينه بدليله من الكتاب والسنة.

ف«كتاب التوحيد» أبوابه ٦٧ باباً مدعمة بآيات من القرآن وبأحاديث من أحاديث رسول الله ﷺ، ويعلن رَحِمَهُ اللَّهُ براءته من مخالفة الحق، ويقول في كلام له: وإني أشهد الله وملائكته ومن حضر من المؤمنين أنه لو قيل لي: في قولك مخالفة للكتاب والسنة، لكنت أول من يرجع عنه؛ ولكني على طريق

مستقيم.. إلى آخر ما قال.

فهو رَحِمَهُ اللهُ بدأ بالتوحيد وتأصيل التوحيد؛ لأنه رأى أن المجتمع في أمس الحاجة لذلك، رأى الشرك والضلال نشأ عليه الصغر وهرم عليه الكبير، وأصبح التوحيد غريباً، إنما يوجد بعض الفقهاء والأئمة لكن يعرفون التوحيد أو لا يستطيعون الجهر به، فجهر بهذه الدعوة وأعلنها وأظهرها ونشرها وهياً الله له الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ اللهُ فتبنى هذه الدعوة وأيدها واقتنع بها وحملها إلى أن أتم الله الحق وانتشرت في الجزيرة ثم في خارجها؛ لأنها دعوته صالحة، ورغم العداء لها إلا أن الله جل وعلا أراد لها البقاء والاستمرار لأنها دعوة حق، ما فيها تعصب لمذهب، ولا لرأي، إنما هي دعوة للكتاب وللسنة دعوة لتحكيم الشريعة، دعوة لرجوع الناس إلى ما كان عليه محمد وأصحابه، فدعوته صادقة صالحة، فهو رَحِمَهُ اللهُ إمام هدى وداع إلى خير، وكل كتبه ورسائله من قرأها وتأملها تدل على عمق العلم وحسن القصد فغفر الله له ولمن نصره وأيده.

سؤال (١): هل يجوز التنازل عن الأصول بحجة أن النبي ﷺ أمر علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يمحو لفظة (رسول

الله) إلى (محمد بن عبد الله)؟

الجواب: يا إخواني، لا يتنازل عن الأصول، لا يجوز، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [١] [الفلم]، أي تترك دعوتك ويتركوا، لا بد من الحق.

أما قضية الحديبية وأن المشركين رفضوا أن يقبلوا (رسول الله) لما قالها رسول الله قالوا: لو نعلم أنك رسول الله لأجبنك، فمحاها النبي، لا يدل على التنازل على الأصول، إنما هي فقط عبارة، يقول: أنا رسول وإن كذبتُموني، ولكن ما تراجع عن دعوة الحق، ما تراجع عن دعوته، ولا قال لا فقط تنازل عن اسمه، لكن دعوته وأساسها هو باق عليها، ثابت عليه.

فدعوى التنازل عن الأصول الأساسية عن توحيد العبادة لمجاملة، لا يجوز لهذا، التوحيد أصل، ولا يجوز التنازل عنه. هو حق، أعظم الحقوق وأجلها، لا حق أعظم من حق الله بعبادته وإخلاص الدين له.

سؤال (١): بعض الدعاة يقوم برد السنة والطعن فيها إذا خالفت ظاهر القرآن بزعمه، وقام برد حد

الردة وحد الرجم وأمر الدجال لعدم وجوده في القرآن؟

الجواب: هذا إما جاهل جهلاً مركباً لا يفهم شيئاً، أو ضال مضل، الكتاب والسنة لا فرق بينهما، بل

قال بعض السلف: إن السنة كلها مستنبطة من القرآن، وقال إن علم السلف من صحابة رسول الله استنبطوا السنة من القرآن، والسنة توضح القرآن وتبين ما أجمل منه، ولا تناقض بين الكتاب والسنة، يكمل بعضها بعضا.

فالأصل القرآن ثم السنة النبوية، هما مصدران للتلقي كتاب الله وسنة رسله ﷺ، كلها من عند الله ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ [النجم]، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

فدعوى أن الرجم لا يجوز لأنه لا يوجد في القرآن باطلة، كما قال عمر عن الرجم: إني أخشى من زمان يقول لا أجده في كتاب الله، رجمنا في عهد رسول الله ﷺ ومن ترك الرجم فقد أتى بالباطل. المهم أن هذه الدعوة باطلة، الرجم رجم الزاني المحصن من السنة وكان نصا من قرآن ثم نسخ.